المثقفون العرب المحبَطون ودورهم السلبي في ثورات الربيع العربي

د. نجم عبد الله كاظم×

(١)

في ظل أولى ثورات من نوعها تشهدها البلدان العربية وربما العالم في التاريخ، استطاعت أن تفرض اسماً أو مصطلحاً على العالم كله، تصاعدت، وبشكل غريب يدعو إلى الاستهجان، أصوات تشكيك بـ(ربيع العرب) وثوراته. وإذا كنا قد اعتدنا على مثل هكذا أصوات طوال عقود طويلة، وهي ترتفع مشككة ومتهمة في أعقاب كل ثورة، أو حركة، أو تظاهرة جماهيرية، أو حرب تحررية، تتسيّدها جميعاً أنظمة وأحزاب وقوى معينة، لتعكس الإحساس بالسلبية وفكرة المؤامرة المهيمنَيْن على العرب، فإن مثل هذا يأتي مثيراً لاستغرابنا وهي تأتي هذه المرة من الطبقة الثقافية لتجسد سلبية أكيدة، وتطال ثورة أو ثورات لا قيادات تقليدية أو غير تقليدية لها، بل هي قامت وتقوم بها أو تقودها، بشكل واضح، جماهير خالصة. ولعل أحد أكثر هذه الأصوات السلبية المشككة هي تلك التي اتخذت شكل حملة من الواضح أن وراءها قوى ومنظمات وربما بلداناً قد تكون ضمنها أميركا وحتى إسرائيل، هي تلك التي تم تعميمها على الانترنيت على شكل مجموعة صورة بطلها جميعاً شخص يهودي فرنسي اسمه (ليفي) وهو يظهر مع جميع ثوار الربيع العربي تقريباً، ووسط مختلف التظاهرات الشعبية، وفي مختلف البلدان العربية الثائرة، لتقول الحملة بالطبع ضمناً، وقبلها صراحةً، إن هذه الثورات من مرتبطة بالاستعمار والصهيونية وإسرائيل.

وهنا، وتعلقاً بهذه الحملة بشكل خاص وعموم الحملات وأصوات التشكيك، من الواضح أن شريط هذه الصور يسعى، عن قصد ممن يعمّمونه من المثقفين أو بغير قصد منهم، إلى إعادة الشباب العربي إلى حالة الإحباط التي عاشها جيلنا الثقافي والجيل السابق وربما أجيال سابقة أخرى، بعد سجل شباب الربيع العربي أول خروج حقيقي من حالة الإحباط تلك. ولكن إذا كان من الصعب على طبقتنا المثقفة العربية المشبّعة سلبيةً أن تصدق أن بإمكان العربي أن يفعل ما يفعله الآن الشباب العرب بعيداً عن وصاية الطبقة المثقف العربية، الممعنة في سلبيتها، فليس من عودة لهؤلاء الثوار إلى الإحباط إن شاء الله.

يذكرني هذا الشريط بسؤال أو استبيان أو استفتاء أجرته مرةً جهة ما عن فضائية معروفة وفحواه: هل تعتقد أن أميركا وراء تأسيس هذه القناة؟ فأجبتُ أنا حينها بأنها قد تكون كذلك، ولكنني أتمنى أن تكون هناك مئة قناة مثلها في الوطن العربي (تصنعها) عدوتنا أميركا، ببساطة لأني كنت أؤمن وما زلت بشكل محدود، خصوصاً قبل انطلاق ربيع العرب، بأننا لا يمكن أن نحصل على شيء لصالحنا نحن الشعب، في زمن هيمنة القوى الكبرى على العالم، دون أن نعطي مقابله. وهكذا فلكي تحصل على منبر إعلامي على شاكلة تلك الفضائية تستطيع أن تقول فيها أي شيء، لا بد لك أن تسمح بما كان بعضها يضع إزاءه خطاً أحمر كأن تنقل أخباراً من إسرائيل وآراء إسرائيل وأميركا وآراء من يدور في فلكهما على شاشة عربية. وهذا يجب أن لا يعني أبداً تطبيعاً، لأن التعليق العربي والإخراج العربي والإطار العربي المنطلقة جميعاً من هذه الشاشة يجب أن تبقى هي المؤطِّر لهذا كله. ومن هذا المنطلق نفسه نقول: إنْ كان كل هذا الذي يجري في الوطن العربي ويؤثر في العالم كله، مما لا يمكن إلا لشعب أو شعوب كاملة، بعد الله تعالى، أن تفعله، هو من فعل شخص واحد صهيوني اسمه (ليفي)، كما تحاول الحملة الظالمة أن تصوّره، فأرجوكم أن تدلونا على عنوانه لكي نسدي له الشكر على هذا الصنيع.

(٢)

وتعلّقاً بـ(ليفي) وبمن ينتمي إليهم من صهاينة وأميركان يجب أن ننتبه إلى أنّ تواجد الأميركان والصهاينة واليهود وتدخّلهم يأتي عبر وسائل كثيرة ومنها، كما بدا واضحاً، هو نحن الطبقة المثقفة ومن حيث لا ندري، والدليل على هذا أمران. الأمر الأول هو تسريب ونشر مثل هكذا شريط من الصور، وإلاّ بربكم، أيها المثقفون المسهمون في نشره أو نشر أمثاله، قولوا لي أولاً مَن قام بجمع كل هذه الصور؟ وهل يعقل أن يُمكّن هكذا داهية مثل (ليفي) أحداً ليصوره بهكذا لقطات – يُفترض أنها فاضحة له – ويستعرض نفسه لأصحابها، إلا إذا كان هو يعرف بهم، وربما هو من يقوم بترويج هذه الصور؟ الأمر الثاني الذي يدل على إسهام الطبقة المثقفة السلبي هو أنْ يقوم مثقفون، بعضهم كبار، من حيث يدرون أو لا يدرون، بترويج هذا الشريط وغيره من أشرطة وحملات. وبصراحة أقول لو لم أكن أعرف بعض هؤلاء المثقفين عن قُرْب كتاباً وأدباء وفنانين كباراً وملتزمين وأصحاب مشاريع ثقافية لشككت بهم. ولو أن هكذا رسالة جاءتني من دون مرسل صريح لظننت أن وراءها أشخاصاً مثل (ليفي) نفسه، وحاشا الله أن أقول شيئاً مثل هذا في أشخاص أسهموا فعلاً، من حيث لا يعرفون، بترويج مثل هذه الحملات والصور والكتابات وضرب الثورات العربية.

في الواقع أن مكمن دائنا نحن المثقفين، وتعلقاً بهكذا حملات وتشكيكات، أن بعضهم إذ وصل أمر الإحباط فيهم، وطوال جيل أو جيلين أو أكثر، إلى حد أنهم أخذوا، مرة أخرى من حيث لا يعون، ينشرون هذا الإحباط ليطال هذه المرة أولئك الذين نزعوه عن أنفسهم، نعني شباب العرب الذين فجروا الثورات بدءاً ببو عزيزي وتونس، ومروراً بمصر وليبيا واليمن، ووصولاً إلى سوريا، والمسيرة مستمرة. ونشر مثل هذا الإحباط هو عينه الذي فعله مثقفون وآخرون سابقاً في حالات كثيرة لعل أشهرها ترويج مقولة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم، وأن ثورات العراق ومصر وغيرها في الخمسينيات والستينيات وراءها الأميركان.

هنا يجب أن نعي أنّ من الطبيعي أن يحضر الأميركان والصهاينة واليهود في كل وسطنا في كل مكان وزمان، ليكون لهم فعلٌ في كل ما حدث ويحدث للعرب وفي كل ما فعله ويفعله العرب وصولاً إلى إفشال ما يستطيعون إفشاله، ويحرفوا ما يمكنهم حرفه، ويصادروا ما يمكن مصادرته، والإساءة إلى ما يمكن الإساءة إليه، والفعل الأخير هو ما يحاولون فعله لثورات العرب. وبصراحة نقول إن هذا من حقهم تعلقاً بمصالحهم، ولكن المصيبة تكمن في أن مثقفينا، مع الأسف، قد يساعدونهم، من حيث يعلمون أو لا يعلمون، في هذا.

(٣)

وهكذا أنا لا أنفي أن يكون هناك أميركان ويهود وصهاينة داخل هذه الثورات والحركات والانتفاضات الشريفة، بل يكون سانجاً من لا يعتقد بهذا، ولكن هذا لا يعني أنهم وراءها. فهناك فرق ما بين أن يحضر الأميركان والإسرائيليون والصهاينة ليفعلوا شيئاً وقد ينجحون وقد لا ينجحون فيه، وأن يكونوا هم أصحاب الفعل. فمعروف، يا مثقفنا العزيز، أنك لو تحركت أنت شخصياً الآن مع خمسة أو ستة أنفار في محاولة لفعل شيء يحرك الوضع في أي مكان من الوطن العربي وبدأت تحقق شيئاً، فإن الأميركان والصهاينة واليهود سيتواجدون بينكم بشكل أو بآخر، أم هل نتوقع منهم أن يبقوا بعيداً عن ذلك؟، لكن المهم أن هذا لا يعني أنهم وراء فعلك وحركتك. فلا أظن أنهم غابوا عن أي حزب أو تجمع أو اتحاد أو حكومة أو ثورة أو حركة في الوطن العربي، ومعروف أن هذا هو أحد وسائلهم المهمة في الهيمنة والتأثير والهدم.

هذا يقودني، وأنا أتلقى رسالة سلبية ومحبطة بل مُبكية من رسائل هكذا حملات لمثقفين سلبيين ومحبَطين، إلى التوقف عند أمر أخذ يترسخ عندي وصار اليوم قناعة تامة، وهو أنْ ليس من أمل إلا ضعيفاً جداً، على ما يبدو، في غالبية الطبقة المثقفة العربية، وهذا ما تناولتُه وأدنته، في الواقع، في آخر كتاب لي عن سلبية المثقفين والمبدعين، ولاسيما العراقيين، وعنوانه "هوميك.. الوطن في غبار المبدعين"، ولكني كنت فيه قد أخرجتُ من هذه (التعميم) بعض مثقفينا ولاسيما المثقفون الفلسطينيون. واليوم وأنا أرى أن هذه الرسالة يتداولها ويداورها بعض المثقفين الفلسطينيين، أصاب بغصة وألم، لأن آخر متاريس الأمة وحماتها الأكثر بسالة يمسّهم الداء.. داء الإحباط.

وتعلقاً بهذا انتبهت الآن فقط إلى أن واحداً من أسباب نجاح الربيع العربي، هو أن أصحابه لم يستمعوا للطبقة الثقافية العربية المحبطة والسلبية وعديمة الفائدة في مثل هكذا مشروع. مع هذا بدأتُ أخاف وأرتعب وأنا أرى أن هذه الطبقة بدأت تدخل الميدان لا لدعم أصحابه ولكن لتنقل إحباطها وسلبيتها إليهم.. وعسى الله أن يحميهم منها.

بقي أخيراً أعزتنا مثقفي الصف الأول.. أرجوكم أرجوكم لا تسهموا في هذا. فالعرب عرب، والربيع ربيع، والربيع العربي ربيع عربي، والثورات هي ثورات فعلاً، وكل ما عدا ذلك إنما هو أعداؤها الصهاينة والأميركان وحلفاؤهما. أرجوكم كفوا أيديكم عنها، فالعرب لأول مرة في العصر الحديث يصنعون شيئاً، فدعوهم يحققون ما لم يحققه أسلافكم ولم تحققوه أنتم ولم نحققه نحن ودعوهم يصنعون مستقبلهم ولا تغتالوا انتصاراتهم وفرحهم بها، وفرحنا بهم.. فهي المرة الأولى التي يفعلونها بمعزل عن القيادات والأحزاب السياسية، وعن فرسان الانقلابات، وعنكم. وصدقوني أنهم سيكونون بخير إن انسحبت أيدي المثقفين العرب المحبَطين عنهم.

×كلية الآداب – جامعة بغداد

حرف علّة

■ عواد ناصر

شبح الجواهري

كان الجواهري قبالتي يجلس في الصف الأول من مقاعد الحضور في اتحاد الأدباء العراقيين بداية السبعينات وأنا على المنصة أقرأ قصائدي في تلك الأمسية الصيفية، من موسم صباي المتدفق، كي لا أقول المتهور، فأنا أرتعش، الآن، رعباً أكثر مما ارتعشت وقتها وأنا ألقي قصائدي الأولى في أول اعتراف أدبي بي وأنا في أوّل عشريناتي، وكانت معي صديقة أيام الدراسة وأحسب أنني أول شاعر عراقي اصطحب معه صديقته إلى اتحاد الأدباء وهذا تهوّرٌ آخر في مجتمع محافظ، وبين جمع ذكوري حتى لو كان جمعاً ثقافياً كان الجواهري ملهمه ونجمه وسيده المهيمن.

أول قصيدة قرأتها للجواهري كانت بعنوان (جيش العراق) التي هي بين مقررات منهجنا المدرسي في الصف الأول المتوسط (عذرا لخيانات الذاكرة) ومنها بيت وضعني على حافة التساؤل المبكر لأن ذاك البيت روي بصيغتين: "جيش العراق ولم أزل بك مؤمناً...وبأنك الأمل المرجّى والمنى" والثانية: "عبد الكريم ولم أزل بك مؤمناً..." إلى آخر البيت!

من غير الكلم وبدلٍ مواضعه؟ هل هم مربونا الميامين أم إنه الجواهري نفسه؟ لا أدري حقاً. لكنه تغيير مثير للجدل وتبديل أثار عندي التباس السياسة والشعر ومحنة الشاعر بالحاكم.. وورطة الحاكم بالشاعر.

لكن الحل اللغوي باستبدال "عبد الكريم" بـ"جيش العراق" أو العكس، على حصافته العروضية، أوقع طرفين أو أكثر، إذا افترضنا واضعي المنهج المدرسي طرفاً ثالثاً – في "حيص بيص" فالجيش، أي جيش، ليس معادلاً موضوعياً أو نقيضاً رمزياً لاسم الحاكم، أي حاكم، لكنها "ثقافة" الحل الوطني لإشكال تقليدي على اعتبار أن الجيش هو مفجر الثورة (الانقلاب) التموزية الشهيرة وبذا فهو أكبر من ضابط مهما كانت رتبته ودلالته المعنوية وهكذا جرى الأمر واستقام لكي لا يستقيم.

وقبل أيام، إذ أتاح اتحاد الأدباء العراقيين فرصة تكريمي بأصبوحة شعرية – ولا أدري ما المسوّغ لإبقاء الأصبوحات بدلاً من الأمسيات بينما يستمر أدباء وأنصاف أدباء العراق في السهر بحدائق الأدباء حتى منتصف الليل – واجهني شبح الجواهري ثانية على شكل صورة كبيرة عند المدخل وكأنه يخاطبني شخصياً: "وما لك من محيص" فغضضت الطرف لأنني من نمير ولم أبلغ كعباً ولا كلاباً أمام أبي الشعري أبي فرات الجواهري.

كانت، إذن، المرة الثانية التي أقرأ فيها شعري باتحاد الأدباء، اتحاد الجواهري الكبير، بعد حوالي أربعين عاما من الغربة، بينما شبح الجواهري يطاردني منذ أكثر من شهر عندما نشرت أحد أعمدتي بعنوان "الجواهري فتى الفتيان" وهو عن قصيدته في المتنبي جدّي وجدّ الجواهري والجميع.

وما أن أنهيت قراءتي، بتقديم وتعليق الناقد المبدع علي الفواز الذي كان بمثابة صوتي الداخلي وهو يعرض بدقة الناقد الذكي لتجربتي الشعرية، حتى تقدم الأستاذ ألفريد سمعان ليكرّمني بساعة يدوية، لم أتبين ملامحها لأول وهلة، لأكتشف بعد ثوان أن صورة الجواهري على مينائها، شبحاً، مثل ذلك الشبح الذي ذكرهُ كارل ماركس وصديقه فردريك أنغلز في بيانهما الثوري وهو يجول في زمن العالم هذه المرة لا فوق أوروبا، زمن الساعة التي هي في رسغي الآن أرى فيها الجواهري كلما تطلعت إلى زمني.

هي لعنة الجواهري التي لا فكاك منها تتقصى معي إحداثيات الشعر والتمرّد وتلتصق بجلدي مثل وشم شعري غير قابل للزوال وكأن إلهاً مجهولاً ختم به على ذاكرتي وخيالي وجلدي يحرسني من شطط الشعر وتهوره فأرتعش كلما تقدمت في السن أو تورطت بالشعر كما لم أرتعش من قبل في حضرة ذاك الشاعر الحي صبياً أقرزم الشعر وكهلاً يخاف الشعر أكثر ما يخاف في حياته.

حسبت أني أنهيت هذا العمود فقمت إلى سريري لأحلم وأضيف حلمي في اليوم التالي إلى عمودي هذا وهو:

كان الجواهري في لندن فهرعت إلى استقباله وكان محمولاً على أكتاف شرطة مطار هيثرو اللندني وكانت بانتظاره الملكة إليزابيث الثانية عند مدرج الطائرة القادمة من بغداد، وما أن رآني حتى قال لحامليه: كفاكم عناء وشكراً جزيلاً، وتقدم نحوي ممسكاً بيدي ليقدمني إلى الملكة على أنني حفيده، لكن الملكة لم تكن تلك العجوز بل شابة لها هيئة حورية ذهبية تتحدث باللغة العربية الفصيحة السليمة الخالية من أي لكنة أجنبية، مرحبة بشاعر العرب الأكبر، الذي كان هو الآخر شاباً نجفياً خلع عمامته تواً ورمى بها إلى "الكناسة"، فشعرت بالغيرة لأن الملكة الشابة قادته من ذراعه نحو بحر أخضر يغص ساحله بالحوريات بينما بقيت وحيداً أرقب المشهد وأنا أقف على الساحل الكئيب الغريب.

قبّعة (أبو كمال)

عادل مردان

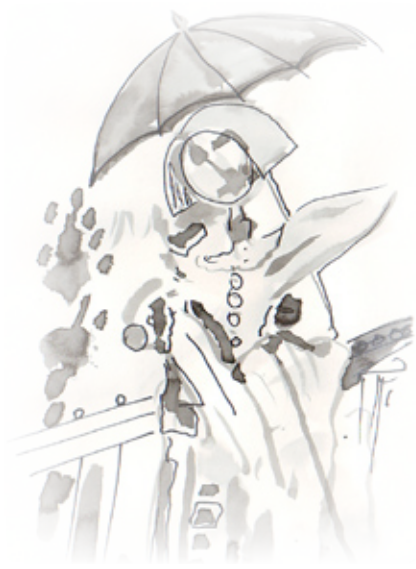

في (عينكاوة) نَهربُ منك
ارفعْ القبعةَ
دعها إلى الرصيف
مجنونةً تمشي على مَهل
امنحها فرصةً أخرى
كي تُعبّرَ عن التياعها
ارفع القبعةَ عالياً
عيناها جاحظتان
منقارها أحمر
بين الجهنّميات المشتعلة
القبعةُ تتغنجُ بحبور
ناثرةً على المارةِ بذورَ الحبّ
فجأةً
تنفلتُ الزرازيرُ من حافاتها
لترفرفَ منتشيةً في سماءِ شط العرب
لماذا تكرهُ (البند السابع) ؟
بالشورت كلَّ ليلة
لا تتعبُ القبعةُ منَ التفكّر
أتمنى لكَ صيفاً ساخناً
يا صديقَ الأسماك البحرية
ارفع القبعةَ عالياً
دعها تتجولُ وحيدةً
تُنشدُ بانشراحٍ لوعاتها
غداً بالتأكيد
سنعودُ جميعاً بلا استثناء
أنتَ
أنا
القبّعة
(مديحُ الخسارة)
إلى
قوانةِ
المربع الأول

جائزة الشيخ زايد للكتاب تعلن بدء الترشح لدورتها السابعة

محمود النمر

أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب عن فتح باب الترشّح لفروعها في دورتها السابعة ٢٠١٢/ ٢٠١٣، ابتداءً من الثاني والعشرين من شهر إبريل/ نيسان الماضي ولغاية الثلاثين من سبتمبر/ أيلول المقبل.

وكانت الجائزة قد أعلنت في وقت سابق من هذا العام عن تحديث مسميات بعض فروعها، وإضافة فرع جديد بغية مواكبة مستجدات الواقع الثقافي وتطورات العلاقة بين المعرفة والمجتمع، وأهمية أن يأخذ الكتاب دوره الفاعل في المجتمع .

وفي هذا السياق، أوضح د. علي بن تميم، أمين عام جائزة الشيخ زايد للكتاب، أن الجائزة توصّلت إلى ضرورة الإبقاء على فروعها التسعة من حيث العدد بدمج فرعين هما: "جائزة الشيخ زايد للنشر والتوزيع" و"جائزة الشيخ زايد لأفضل تقنية في المجال الثقافي" في فرع جديد هو: "جائزة الشيخ زايد للنشر والتقنيات الثقافية"، الذي "يُمنح لدور النشر والتوزيع الورقية، ولمشروعات النشر والتوزيع والإنتاج الثقافي، الرقمية، والبصرية، والسمعية، سواء أكانت ملكيتها الفكرية تابعة لأفراد أم لمؤسسات".

وقال ابن تميم: "إن مسمى وتوصيف جائزة الشّيخ زايد للفنون قد أجري عليهما بعض التعديل ليصبح المسمى المستحدث هو: "جائزة الشيخ زايد للفنون والدراسات النّقدية" .

بينما احتفظ فرع "جائزة الشيخ زايد للآداب" بمسماه الحالي مع تغيير في توصيفه ليشمل: "المؤلّفات الإبداعية في مجالات الشعر، والمسرح، والرواية، والقصّة القصيرة، والسيرة الذاتية، وأدب الرحلات، وغيرها من الأعمال الأدبية" .

أما الفرع الجديد فحمل مسمى "جائزة الشيخ زايد للثقافة العربية في اللغات الأخرى"، ويشمل "جميع المؤلّفات الصادرة باللغات الأخرى عن الحضارة العربية وثقافتها بما فيها العلوم الإنسانية، والفنون، والآداب بمختلف حقولها ومراحل تطوُّرها عبر التاريخ" .

أما بقية الفروع فتشمل "التنمية وبناء الدولة"، "أدب الطفل والناشئة"، "الترجمة"، "المؤلف الشاب"، و"شخصية العام الثقافية".

وبالنسبة لدُور النشر فقد أعلنت الجائزة عن تقديم دعم جديد لهم من خلال شراء ١٠٠٠ نسخة من أي كتاب يفوز بأحد الفروع. وتأتي هذه الخطوة في سياق حرص الجائزة على دعم الناشرين لتأسيس تقاليد أصيلة تسهم في صناعة الكتاب على نحو مثالي، والحفاظ على الملكية الفكرية، وبذل الجهد في توزيعه وإيصاله إلى القارئ في كل مكان، وكذلك حث المؤلّفين على الترشّح بمؤلّفاتهم إلى فروع الجائزة بالتعاون مع الناشرين لغرض خلق حالة من التنافس الأصيل بينهم .

وقال د. علي بن تميم "يأتي هذا الدعم بناء على توجيهات الشيخ سلطان بن طحنون آل نهيان، رئيس مجلس أمناء الجائزة في اجتماع مجلس الأمناء الذي انعقدت جلسته في السابع من شهر مارس/ آذار الماضي" . وأضاف: "في تلك الجلسة قرر مجلس الأمناء شراء ١٠٠٠ نسخة من الكتاب الفائز، دعماً له ولحركة النشر في العالم العربي، وذلك ابتداء من الدورة السابعة ٢٠١٢ – ٢٠١٣" .

من جانبه، أشار عبد الله ماجد آل علي، مدير الجائزة إلى تفاصيل طريقة التقديم لفروع الجائزة، وقال في هذا الصدد: "على الراغبين في الاشتراك في الجائزة الحصول على استمارة الترشح الخاصة بأحد فروع الجائزة من خلال الموقع الإلكتروني: (http://www.zayedaward.ae/> www.> zayedaward.ae)، وتعبئة الاستمارة، وإرسالها مع خمس نسخ من العمل المرشّح للمكتب الإداري في العاصمة أبوظبي مرفقة بالسيرة الذاتية للمترشح، وصورة من جواز سفره، وصورة فوتوغرافية" .

وأضاف: "يجب أن يكون النتاج الإبداعي للمرشح منشوراً في شكل كتاب ورقي أو إلكتروني أو سمعي، ولم يمضِ على نشره أكثر من سنتين، ومكتوب باللغة العربية – باستثناء جائزة الترجمة، حيث تمنح لمؤلفات مترجمة عن أو إلى اللغة العربية، وجائزة الثقافة العربية في اللغات الأخرى التي ينطلق الترشح لها ابتداء من هذه الدورة، التي تستقبل المشاركات المكتوبة باللغة الإنجليزية والألمانية والصينية" .

جائزة الشيخ زايد للكتاب
Sheikh Zayed Book Award